نص حوار الشيخ الشافعي مع الشيخ الراحل محمد الغزالي، احتفاء بذكرى انتقاله إلى الرفيق الأعلى يوم التاسع من مارس.

أ.د. حسن الشافعي:
نحن نثق في متابعة فضيلتكم لتطورات الأمور في المجال الجامعي في العالم الإسلامي، ولا شك أنه من الملحوظ كثرة نشوء الجامعات الإسلامية في هذا العقد، فهناك في باكستان أنشئت جامعة إسلامية ومثلها في ماليزيا وأخرى في النيجر ومناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي فما رأى فضيلتكم في هذا الاتجاه وما دور التعليم أساساً وخصوصاً التعليم الجامعي في تأكيد وترشيد الصحوة الإسلامية المعاصرة؟

الشيخ محمد الغزالي:
لابد من التعليم الذكي الخصب لكي نبني أمتنا من جديد؛ نحن فعلاً محتاجون إلى جامعات كثيرة وأملنا أن تكون هذه الجامعات الري الذي يحيل الأرض الميتة إلى حدائق يانعة، نريد أن يتعلم أبناؤنا كما تعلم آباؤهم من قبل وكانوا أساتذة العالم ولا تنسى أنه لا قيمة لفتح عسكري لا يصحبه مستوى عالٍ من الثقافة، لقد ماتت نهضة محمد على باشا في مصر لأنها كانت عسكرية لا تصحبها ثقافة واسعة، والتتار استولوا على بغداد ولانهيارهم الثقافي تحولوا إلى مسلمين، لأن المستوى الثقافي الأعلى كان للمسلمين المهزومين. فأمتنا بحاجة إلى ثقافة واسعة تحييها ونحن لم نفتح العالم بجيوشنا، جيوشنا كسرت القوى التي كانت مستعمرة لمصر والشمال الأفريقي كله ولآسيا الصغرى، واستأصلت الرومان والفرس كدول لها هيمنة عسكرية غالبة قاهرة لكن ما الذي جعل هذه الأراضي تتحول إلى ينابيع جياشة تحول العالم إلى النور، وتنقله من حال إلى حال، فالعلم الإسلامي هذا العلم الذي استطاع أن يجعل من آبائنا فاتحين يحملون حضارة للناس، فإذا كانت الأمة الإسلامية الآن تريد أن تستعيد مجدها وتستأنف مسيرتها فليس أمامها إلا العلم، وأنا أؤمن أن تكون الجامعات التي تفتح في باكستان أو في ماليزيا وأرجو أن تفتح في أماكن إسلامية كثيرة ونريد أن يشتغل العالم الإسلامي بالتعليم، حيث من خلاله ملك الأرض ولكن بدقة، ما هو التعليم الذي نريد أن نملأ أفئدتنا به، ونجعل انشغالنا بمواضيعه ومناهجه هو الذي يسيطر علينا وننفع به أولادنا؟ هذا سؤال مهم جداً وفي الحقيقة قبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن أقول إنني لست جامعياً بالمعنى الرسمي؛ فأنا تخرجت من كلية أصول الدين عام 1941وكان هناك ما يسمى بتخصص المادة ولكنه ألغي أيامنا فلم يكن أمامي أي طريق لدراسة عالية، فدخلت تخصص الدعوة والإرشاد ثم اشتغلت من باب النوافل تخصص تدريس، وأخذت تخصص الدعوة والإرشاد وكان تخصصاً علمياً ناجحاً في الحقيقة، أما التدريس فكان أشبه بعلم النفس والمجتمع والتربية وبعض ما يعين على مهنة التدريس، فلم أحصل على الدكتوراه كما يقولون ولكني انشغلت بما يجعلني أهلاً بالمعرفة؛ لأني اشتغلت إماماً وخطيباً ومدرساً وعندما اشتغلت إماماً وخطيباً ومدرساً كنت صادقاً مع ربي فاجتهدت ولم ألق الناس إلا ولدي موضوع أدرسه بعناية وأرتب بدايته ونهايته وأخلص بحقائقه إلى من يستمع إلي فأرفعه إلى مستواه بقدر ما أستطيع. وعندما أصبحت مسئولاً عن المساجد جعلت جدولاً للتدريس فيها على النحو التالي: تفسير يوم السبت – سنة يوم الأحد – فقه يوم الاثنين – ثم دراسة للسيرة والتاريخ النبوي يوم الثلاثاء - دراسة للعقائد يوم الأربعاء – دراسة للأخلاق يوم الخميس – يوم الجمعة تكون فيه خطبة الجمعة، ولو أن الأمر بيدي ما جعلت أحداً يدرس في مدرسة أو في جامعة إلا بعد أن يكون درس للجماهير في مسجد من المساجد سنتين أو ثلاث سنوات كما فعل السابقون، المسجد عندنا جامع للعبادة وجامعة ثقافية وبدأ هذا منذ أن شرع الرسول ببناء هذه الأمة فيه؛ لأنه ما معنى أن أصلي الفجر فأقرأ سورتين من المفضل أو أتل البقرة حيناً إنني أدرس في قراءتي علوماً كثيرة فالقراءة نفسها علوم كثيرة ولذلك الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة عندما تحدث عن هذا قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وبنى أمة من المسجد ولذلك انطلقت الثقافة الإسلامية من المساجد من يومها الأول، فكانت علماً وعبادة وكانت ثقافة تعنى شقين: السعة العلمية النظرية، وتدريب على العملية الأخلاقية السلوكية وهذا هو ما تطلبه الأمم لكي تنهض، فعندما دخلت الجامعة ارتبطت بالمسجد ثم بدأت في أعمال إدارية. ولكن شغفي بالعلم جعلني أبقى دائماً أحاضر وأتحدث فرأى المسئولون في الأزهر أن ينتفعوا بي في الدعوة الإسلامية في كلية أصول الدين وعندما ذهبت أدرس في الكلية كلفت أن أضع كتاباً حسب المنهج المقرر، وعندما اطلعت على المنهج المقرر وجدته أشبه بوجبة من الطعام تنقصها مواد رئيسية فغيرت البرنامج بيني وبين نفسي وزدت في أثناء الكتابة، وكان لابد وأنا أدرس للدعاة في أصول الدين أن أتعرض لمأساة العروبة واللغة العربية في العالم الإسلامي، لأن الهجوم على اللغة العربية كان منظماً وبدأ به مستشرقون حاولوا في صفاقة أن يحيوا اللهجات العامية وأن يضعوا لها قواعد وقد وجدت أن الاستعمار كان كاشفاً عن وجهه في المغرب العربي، إذ حاول إحياء اللغة الأمازيغية القديمة لكي تحل محل العربية كما حاول إحياء التواريخ القديمة للجاهليات الأولى من طورانية وفرعونية لكي يجعل الطريق أمام دراسة الإسلام نفسه وتاريخه مسدوداً، فكان لابد أن نستميت في تبصير الطلاب بالعروبة وباللغة العربية وبحقائقها وبوفائها بما تطلب الحضارة الحديثة من مصطلحات ثم كان هناك ما لاحظته من هدم عسكري لأمتنا وهدم تاريخي وهدم ثقافي وهدم أخلاقي واجتماعي؛ ففي كتابي "مع الله دراسات في الدعوة والدعاة" كنت أحاول أن أضع بين أيدي الطلاب الدعاة كل ما يبصرهم بالدعوة الإسلامية الحقيقية بين الجماهير، كيف يذودون عن رسالتهم، كيف يؤدون واجباتهم، كيف يصلون حاضر الأمة بماضيها، كيف نمهد لمستقبل مشرق تعود فيه للإسلام نضارته وحضارته هذا ما بذلت الجهد فيه، وكان كتاباً مدرسياً لكنه إلى الآن يعتبر نافعاً ويمكن أن تضم إليه تجارب بعض إخواننا الذين كتبوا في هذا المجال مثل الأستاذ/ بهي الخولي في كتابه "تذكرة الدعاة" ومثل الشيخ عبد البديع صقر والذي كتب "تجارب في الدعوة"... وهكذا، من الممكن مع هذه الكتابات كلها إخراج منهج ممكن أن يكون زاداً للدعاة، وهم يسيرون بين الناس يمد أنوار الإسلام ويمحو آثار الجاهلية الحديثة التي انطلقت وجاست خلال الديار للأسف.

أ.د. حسن الشافعي

ولفضيلتكم أيضاً إسهام في إطار كلية الشريعة.

الشيخ محمد الغزالي:

نعم، طلبني المرحوم الشيخ محمد محمد المدني رحمة الله عليه، وهو رجل من ألمع علماء الأزهر وأكثرهم دقة؛ فهو كان مالكياً لكنه درس مذاهب ابن تيمية وابن القيم وابن حزم وغيرهم كما درس المذاهب الأربعة وأنا منه سمعت كلمته "من قدم لي دراسة في فقه عائشة أعطيه الدكتوراه" فأنا قلتها عنه وتبنيتها وقلت لطلابي: "اجتهدوا في فهم الفقه الإسلامي وأنا أقول لكم من يقدم دراسة في فقه عائشة يأخذ الدكتوراه" بل قلت شيئاً أخر "من استطاع أن يجرد تفسير الخازن من خرافاته الإسرائيلية ومن الأمور التافهة التي تطرق إليها هذا المفسر فإنني أعطيه الدكتوراه شرط أن يعيد كل شيء من الأحاديث إلى مصدرها الأصلي" والكتاب كان يعجبني فيه أنه سهل ومبسط وفيه معارف ضخمة من العلوم الإسلامية لكن الرجل كان مولعاً بالضلالات يذكرها بطريقة تثير الإنسان فاستغربت لماذا يقول هذا الكلام؟ ففتح باب من أبواب الشر، وهو مخزن من مخازن الإسرائيليات عندنا ومن مخازن الخرافات.

أ.د. حسن الشافعي:
ولكن كان لسيادتكم كتاب في كلية الشريعة في ذلك الوقت.

الشيخ محمد الغزالي:
نعم، فعندما طلبني الشيخ محمد المدني قلت له لماذا طلبتني فعندكم علماء يدرسون الفقه والأصول أكثر منى؟ وهذه الدراسات أضيق بها فنفسي ليست مفتوحة لها في الحقيقة ربما كان أحب إلي أن أدرس مسألة فلسفية، مسألة أخلاقية، وأغوص في أعماق علم النفس وعلم الاجتماع، فإن الدراسات الإنسانية تعجبني أكثر من الفقه وما إليه، فقال لي: لا أريدك لهذا، فقلت له: إذن لماذا تريدني؟ ففاجأني بأنه يطلبني لدراسة المجتمع العربي، فاقشعر جلدي وبدا على وجهي العبوس، فقال لي ماذا بك؟ قلت له في الأزهر الذي تلتقي فيه وفود العالم الإسلامي من ستين جنسية أدرس أنا لهم العروبة والقومية العربية؟ فقال لي هذا شيء فرض علينا، وهي مادة لابد منها، قانون ثوري كما يقال، وأنت خير من ينقذنا من هذا المأزق، فقلت له: ماذا أصنع؟ قال أنا طلبت منك فأبذل جهدك.

فألفت كتابي "حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي" وأصلت مفهوم العروبة على أنه إسلامي، المفهوم الصحيح للعروبة أنها إسلام وكنت صاحب المعادلة المشهورة (عروبة – إسلام= صفر) وكان لابد من أن أجعل العروبة إسلامية ولذلك الكتاب لم يبق إلا سنة واحدة ومؤلفه لم يبق إلا سنة واحدة ثم أُخرج إخراجاً من الكلية، وقال بعض العروبيين من البعثيين أنكم جئتم بعدو من أعداء العروبة أو أعداء القومية لكي يدربنا فكان ما كان على كل حال... فأنا مستريح للكتاب الذي ألفته واستطعت به أن أصحح مفهوماً حاول الاستعمار الثقافي أن يشوهه، فهو أولاً يجعل من العروبة ديناً يحل محل الإسلام، وهيهات فالإسلام هو ديننا وبقدر ما يُعز الإسلام تُعز العروبة وإذا كانت اللغة العربية باقية؛ فللقداسة التي أضفاها عليها الإسلام، وأنا مصري فما صلتي بالعروبة أو اللغة العربية إلا أنني أرى أن اللغة العربية وعاء لتعليم الإسلام وأنها ارتبطت بالوحي منذ نزلت فأصبحت تعرف به ويعرف بها وقد أكد القرآن هذا {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} (يوسف: 2) فهذا المعنى كان لابد من تقريره والحمد لله انطلق هذا المعنى وأحتضنه من هم أقدر مني في الدراسات الجامعية، وأصبح الآن هو المعنى الشائع بل والمعنى الصحيح الآن.

أ. د. حسن الشافعي:
لكن خرجتم من الكلية إلى العالم الإسلامي الكبير، وبعد هذه العلامة التي تركتموها في خدمة الأزهر في أصول الدين وفى كلية الشريعة، هذا التوسع في التعليم الجامعي على امتداد العالم الإسلامي -وإن كان توسعاً أفقياً- ويرجى أن يكون التعليم كما ذكرتم فضيلتكم وسيلة لبناء الإنسان وإعداد القيادات التي تهيئ المجتمع وترقية البحث العلمي أيضاً ولكن يلاحظ من البعض أن هناك أزمة في هذه الجامعات الجديدة والقديمة أيضاً يمكن تسميتها بأزمة الأستاذ الجامعي المسلم ما رأي سيادتكم في هذا ومن خلال تجربتكم ما هي مواصفات الأستاذ الجامعي الناجح في رأيكم؟

الشيخ محمد الغزالي:
والله من خلال تجاربي أقول إن الأزمة حقيقية ووجود أستاذ جامعي يحسن دراسة علوم الشريعة والعقيدة وعلوم اللغة العربية يحتاج إلى جهد سليم وهذا الجهد يسبقه في نظري أمر أرجو أنه كان عليه أن يتبناه غيري ممن يخلصون لله ورسوله ولمستقبل هذه الأمة المحفوف بالمخاطر، ويوجد عقلاء الآن من أصحاب الألمعية يشعرون أن الثقافة الإسلامية القديمة ربما انحرف بها جدل مفتعل عن طريق الإثمار الصحيح، لأن الجدل أحياناً يستبد بالناس فيزيغ بهم عن الحق، إلى الآن ربما فكر بعض الناس أن يتكلم أن

هذا القرآن مخلوق، ربما تكلم هل الإنسان له أفعال أم ليست له أفعال، ربما يتكلم هل الصفات زائدة عن الذات أم هي الذات أو لا هي ولا غير؟

الشيخ محمد عبده كان كبير العقل قال إن الخلافات كانت لفظية ولا معنى لها ومن الممكن أن تقول لمن يثبت رؤيا الله في الآخرة، إنك على حق لأن كلاً منهما يريد معنى غير المعنى الذي قاله الآخر، فإذا لم نجلس ونتقارب ونتعارف ونقدم للأجيال الجديدة خلاصة سريعة فماذا يحدث إلا أن يبقى الخلاف ويبقى سوء الأخلاق وهذا ما يُضيع العالم الإسلامي.

العالم الإسلامي ورث الفقه، والفقه الذي ورثناه أنا أعتبره من الشموخ والعظمة، حيث يصح اعتباره تراثاً عالمياً ينشغل به العقل المدني الباحث عن الحقيقة في إنجلترا أو فرنسا، لأنه كما شعرت بهذا مؤتمرات مدنية بحتة فقه غير عادي، وأن الإنسانية أهم ما تحتاج إليه في ضبط قوانينها والحكمة والأحكام التي لابد منها لسياسة شرعية صالحة، لكن هذا الفقه ما ندري لماذا قامت فواصل بين منابعه؟ فهناك فقه حنفي، وفقه مالكي وفقه حنبلي، وفقه شافعي، وفقه ظاهري، ثم فقه زيدي، ثم فقه إباضي، ثم فقه إمامي، وعباد الأمة الواحدة كيف انعزل بعضها عن بعض كما ينعزل البروتستانتي عن الكاثوليكي واليهودي عن المسيحي هل هي ملل مختلفة؟ إنها ملة واحدة ورسالة واحدة؛ فهذا المعنى كان لابد من القضاء عليه.

معنى آخر وجد – ويجب بسرعة تلافيه – وهو أنه يجب ترك هؤلاء جميعاً والعمل من جديد في دراسة الفقه من الكتاب والسنة. وترك الأئمة القدامى بجهودهم التي ظلت نحو ثلاثة قرون أو أربعة وتعتبر هذه هي القرون الدعامة في التاريخ الإسلامي كله والحضارة كلها، ماذا يعقبه؟ نبني من جديد، من الذي يبني من جديد؟ وجدت ناساً تنتسب إلى السلف تريد أن تقول دعوا أبو حنيفة، دعوا مالكاً والتفتوا إلى الأخذ المباشر من القرآن السنة، فلما نظرت في طريقة تفكيرهم وأسلوب استنتاجهم، رأيت أنهم دون المستوى الهائل الذي يتحدثون عنه وأنهم ما يصلحون تلاميذ للرجال الكبار الذين قادوا حركة الفقه الإسلامي الأولى، ورأيت الأفضل من ذلك أن تردم الفجوات بين المذاهب وأن يدرس ما أسميه بالفقه المقارن أو يُدرس ما نسميه فقه السنة مضافاً إليه آراء الأئمة في آيات الأحكام وفى أحاديث الأحكام، وبذلك يمكن أن ننتفع بالسلف والخلف على سواء.

حكاية أن إحياء الأفكار الأولى في العقيدة والتأويل وغير التأويل هذا الكلام يخيل إلى أنه ينبغي أن ينتهي، ولو سألتني ماذا تريد؟ أقول لك أنا والله استفدت في العقيدة من كشوف العلم الحديث، آخر ما تحدثت عنه لبعض زملائي المركبة الفضائية التي أطلقها الأمريكيون أخيراً، والتي وثبت من المريخ إلى نبتون ووصلت الآن إلى حافة الفضاء في المجموعة الشمسية والتقطت صوراً للشمس والتقطت صوراً للأرض ورأيت الأرض نقطة في الفضاء في بحر من الظلمات.

أنا قلت هذه المركبة تنطلق من بضع سنين تسير بسرعة مئات الألوف من الأميال في الدقيقة، وهي إلى الآن لم تتجاوز مرحلة دنيا من مراحل السماء الدنيا، إذا كان الكون عظيماً على هذا النحو ونحن في البدروم ولم نصعد إلى ما هو أعلى فما يكون خالق الكون؟ ثم تذكرت أنه من العظمة ، حيث اتضح في ذهني الحديث القدسي:

"يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمُ الَّذِينَ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلا أُبَالِي؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ أَنْ يُغْمَسَ الْمِخْيَطُ غَمْسَةً وَاحِدَةً، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ

إلا نَفْسَهُ". قَالَ أَبُو مُسْهِرٍ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَبَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

قلت لنفسي لو أن رجلاً يملك مئات الألوف من المليارات فسقط من جيبه قرش فهل سيتذكره؟! أيهتم به؟! والله القرش ممكن أن يكون أكثر من الأرض بالنسبة إلى الكواكب وبالنسبة للكون؛ فالله عظيم جداً جداً فإذا حدثنا ربنا وقرب وحيه من أدمغتنا ببعض الآيات فبداهة هذا على قدرة ما تبلغه عقولنا، فهو يخاطبنا بما نفهم ومحاولة أن أعرف ما العرش وما الاستواء هذه محاولة جنونية، وذكرت أنني مرة كنت أكتب وسجلت هذه الخاطرة في كتاب لي كنت اكتب فطلت ذبابة قريبة مني فنظرت إليها ثم قلت أستعرف الذبابة الموضوع الذي أكتبه الآن؟ فهي لا تعرف ولا يمكن أن تعرف، فقلت ماذا نعرف نحن عن الله نحن أقل وأذل بأن نتطاول إلى هذا المستوى فلماذا لا نكون عبيداً نلتزم ما جاءنا ولا نحاول التغلغل في أبعاد ما وراء المادة فهي فوقنا وبذلك نقبل ما جاء به السلف مادام عقلنا يتسع لهذا، ونرفض ما ينكر العقل وهذا هو الفارق بين الإسلام وغيره من الأديان. هناك بين ما يغيب عن العقل وبين ما يرفضه العقل.. أنا يغيب عني سر الضوء سر الكهرباء ما أدري ما هي الكهرباء؟ لكن أعرف أنه يستحيل أن يكون المتناقضان مجتمعين أو منتفين، وهذا حكم عقلي فليس في ديني ما يرفضه العقل لماذا أكون جريئاً؟ بل أعتقد أنه من السخف أن أحاول معرفة كل شيء بالعقل؛ فهذا في علم المادة غير ممكن فما بالك بما وراء المادة وبهذا تردم الفجوة بين السلف والخلف.

أ.د. حسن الشافعي:

لكن فضيلتكم من حكم تجربتكم الواقعية هذا التناول المستنير واسع الأفق لثقافتنا هل النوعية المتاحة من الآن من الأساتذة الجامعيين تمثل هذه النظرة تمثل هذا الزاد.

الشيخ محمد الغزالي:

لا، للأسف ما أطلبه غير مستحيل وموجود نماذج من الناس أستطيع أن أقول إنها انتفعت مثل (حسن البنا) و(رشيد رضا) والشيخ (محمد عبده) وانتفعت بالأئمة الأربعة وانتفعت بمدرسة الرجال الذين يوفقون مثل ابن تيمية وابن القيم، وانتفعت برجال لهم في الدعوة باع مثل ابن الجوزي وله أيضاً في التفسير والتاريخ باع فنريد رجالاً ينتفعون بالثقافة الإسلامية الواسعة، ثم لابد من النظر في العلوم الحديثة - أقصد الحضارة الحديثة- ثم علوم كونية وعلوم إنسانية، العلوم الكونية علوم استقرت وبنيت عليها نتائج عملية فإذا جاء إنسان قاصر العقل مسكين وبدأ يراوغ أو يحاول في أن الأرض تدور حول الشمس؛ لأنها كذا وكذا فهذا لا أقضي معه وقتاً، فأريد أن أتجاوزه بسرعة وأذهب إلى من هو أعقل منه؟ فإذا بدأنا ندرس الكون دراسة صحيحة فإننا نفهم القرآن، أنا أعتبر أن القرآن كتاب لا يستطيع فهمه من حرم من دراسة الفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك وما إلى ذلك؛ لأن منزل هذا الكتاب يبين أن العاجز في فهم العلم والكون لن يرتقي أبداً في مضمار الإيمان وهو القائل جل شأنه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: 54) عندما أتحدث أو أذكر الجينات والخصائص الوراثية، وأرى أن هذه الجينات تتكون منها ألوف وألوف وألوف في أدنى من رأس الدبوس، وهي التي تصنع إنساناً عملاقاً، فأنا أقول أن القرآن هو الكتاب الفذ في كتب السماء كلها وأنا لا أعرف كتب للسماء فإنها انتهت، وماعدا هذا فهو من تأليف البشر المهم عندي أنه لا يستطيع أن يمشي في القرآن رجل بائس فقير في العلوم الكونية، لابد أن يكون دارساً للعلوم الكونية، وأنا أدرس العلوم الكونية قرأت ما نشرته مؤسسة (فرانكلين) كتاب العلم يدعو إلى الإيمان... لمؤلفه/ كريسي موريسون.. الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، ورئيس المعهد الامريكي لمدينة نيويورك، الذي تُرجم إلينا فيه لمحات جيدة وإشارات ممتازة... نسال الله أن يفيد به المسلمين العاملين، وكتب كثيرة تحدثت عن الكون حديث مجرب، أنا أحياناً - مع أن أينشتاين يهودي- لكن قرأت له

وصفاً أحياناً، وهو ينظر بانبهار إلى الكون وما يقع فيه ويرمق من خلال الغيب القدرة الباهرة الرائعة التي تصنع ما يراه أمامه فهو عاجز عما أمامه فكيف بمن يصنع، فوجدت الرجل حقيقة مؤمناً بالله كونه لا يؤمن بالمنقولات التي جاءت إلينا فأنا السبب في كفره لأني (أيقصد المسلم بصفة عامة) لم أنقل إليه، لما بلغني أن فيكتور هوجو طرد القسيس الذي جاءه ليتلقى منه الاعتراف، وهو يموت قال له تفضل أنا أؤمن بالله الواحد وتصدقت بما أملك به فاذهب فلا أحتاج إليك فقلت هذا رجل أسلم، كونه لا يعرف الصلوات والحج فأنا السبب في هذا الجهل ومسئول أمام الله عن عدم معرفته بها ولا يُسأل أمام الله، نعم لقد أسأنا جداً نحن المسلمون في وصف الإسلام:

كاد الليالي وكادته مجـــالدة وارتد عدوانها من بعد تقتال
ثم انثنت وبها من صبره حرق وإن كسته لكيد ثوب أسمــال

هذه الأفكار في ثقافتنا، فكما فهمت أن السبيل إلى ظهور الأستاذ الجامعي النموذجي أولاً إزالة الفجوة المفتعلة بين المذاهب الأربعة وبين المدارس العلمية المختلفة، ومن جانب آخر إزالة الفجوة كذلك بين ثقافتنا والثقافة الحديثة، وأخيراً إعادة عرض هذا الإسلام وحسن تقديمه للناس.

وطلب آخر أضمه لهذا كله أتقدم به إلى المسئولين عن سياسة العالم الإسلامية أكثرهم يخاف الإسلام لأنه جاهل به، هو مسكين، هم حكام تعلموا في مدارس مدنية فأخذوا جانباً ضحلاً من الثقافة الإسلامية ثم رأوا بعض التصرفات النابية الجافية ممن ينتسبون للإسلام، الإسلام أعظم مما يتصورون وأريد بهم أن يراجعوا أنفسهم لم لا، لأن خصومهم بدأوا يعودون إلى مبادئهم الأولى، وهي مبادئ فيها من الضحالة ما يرد العقل عن العودة إليها، لكن مع هذا فإن اليهود بدأوا يعودون إلى العهد القديم الذي قال: إن الله قرر إخراج آدم من الجنة لأنه خاف منه، ولأنه عرف شجرة المعرفة فبقى عليه أنه يعرف شجرة الحياة وينازعنا الخلود فكأنما غار منه أهذا كلام يقوله كتاب مقدس؟! ومع ذلك بدأوا يعودون إليه وبدأوا يقرؤون أنه الجدير بالنبوة والنبوة سرقت منه وسرقها منه يعقوب بالحيلة كأن الغلبة في هذه الحياة تقوم بالمكر والخديعة والسرقة، فإذا عاد الناس إلى مبادئهم وغيروا هذه الحقائق السخيفة السوداء ألا نعود إلى الحنيفية السمحة وإلى الكتاب الذي يضمن الدنيا والآخرة {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (النحل: 30) أنا أريد أن يترك حكام الإسلام أو حكام المسلمين المجال مفتوحاً أمام بعض أولي الغيرة الذين يريدون إحياء التعليم الإسلامي بالأسلوب الذي أعرضه الآن.

أ. د. حسن الشافعي:

نريد ونحن نستقطر هذه الخبرة الغنية أن نعرف طرفاً من دور سيادتكم في بناء قسم الدعوة الإسلامية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

الشيخ محمد الغزالي:

الحقيقة أني أشكر المسئولين في المملكة العربية السعودية، لأنهم استضافوني للدراسة في كلية الشريعة لقد كنت في القاهرة مهزوماً مظلوماً وأخرجت من عملي في وزارة الأوقاف بطريقة وحشية، فكنت مديراً عاماً للدعوة الإسلامية فقيل لي لا تدخل مكتبك واذهب إلى حيث شئت، المهم أن بعض الأصدقاء قالوا لي تعالى إلينا إلى مكة المكرمة فقلت أذهب إلى الحرم الآمن، كنت أزهرياً مستنيراً فلما بدأت أدري شعرت بما حدثتك عنه الآن من أنه شيء بين السلف والخلف قد يتغلب عليه صاحب الخبرة الواسعة ولكن سيصطدم به من لا خبرة له، فأحببت أن أترك المعركة التي تثار غالباً في هذه الأمور وأنشغل بغيرها.

مكنتني الإذاعة من أن أتحدث فيها يومياً وكذلك التلفزيون، فاخترت موضوعات لا صلة لها لا بسلف ولا بخلف فشققت طريقي في هذا المجال، مرة واحدة وكانت رسالة أناقشها في الأصول الخمسة للمعتزلة ووجدت طالباً ينقل كلاماً لم يعجبني كان يقول إننا لا نحب أن ندخل في أمور كثيرة وابن القيم يرى أنه إذا سئلنا هل الله جسم أو ليس جسم؟ فنتوقف ونقول لا جسم ولا غير جسم، قلت له هذا الكلام فيه خطورة، لأن

الجسم مادة بيقين ومعنى أنه مادة أن خصائص المادة تلحقه وقد درسنا خصائص المادة في علم الطبيعة الذي يسمى للأسف الآن بعلم الفيزياء، وهي (القصور الذاتي، المسامية، التحيز، وما إلى ذلك.....) هذا الكلام لا يقال فكانت الإجابة لافتة للنظر فهو قال لي أنا أنقل هذا الكلام عن ابن القيم وكأنه يقول لي أتعترض على ابن القيم؟!! قلت له أنا أتجاوب مع قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (الشورى: 11) فهو له مقاليد السموات والأرض فربما كانت المفاهيم أيام ابن القيم غامضة أما وقد اتضحت الآن؛ فنحن نجرد ابن القيم من أن نعرض عقائدنا للشبهات فأبى وتمسك برأيه، فقلت له مستحيل أن تمر الرسالة وفيها هذا الكلام وكان المسئول عن الرسالة الشيخ عوض الله حجازي والمشرف في جامعة الأزهر الأسبق، فرأى أن تحذف الجمل وبالفعل حذفت، فقال لي الغلام بعد أن خرجنا إنني سأشكو الأمر إلى قاضي الشريعة هنا فاستهنت بالأمر، وجاء آخر يقول لي بينك وابن القيم حزازات فقلت له ابن القيم أستاذي وأنا تعلمت منه ولقد قرأت وأنا في المعتقل كتابه "مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين" وهو نحو 1000 صفحة وكان يقرأه علي الشيخ "بهي الخولي" وبعض علماء الأزهر الطيبين، وكان يقرأ وأنا أسمع وكنت أشعر بأني على بساط يطير بي بين السماء والأرض فإذا انتهت القراءة نزلت على الأرض سبحان الله، كان ابن القيم قمة رفيعة من قمم الفكر الإسلامي فقلت له تعتبرون الخلاف في الرأي حزازات شخصية أو باب إلى الإساءة هذا من أخطائكم أنتم، فأنا قد أعارض ابن القيم ولكني أكثر إعزازاً له وإكباراً لعلمه منكم أنتم فما الذي يجعلكم تتصرفون بهذا الأسلوب وفعلاً انتصرت وجهة نظري، لكن كأنما أخذ على أنني لست وفياً للسلف كما ينبغي، هؤلاء جهال وأنا أريد العلم الواسع وأريد الإبحار في المعرفة، فإن الإنسان عدو ما يجهل وهؤلاء الذين قرأوا لطرف واحد فيفاجئوا بغير ما استوعبوا وأنا أحب أن أقول لك أنني قرأت بعض تراجم لتراث الغزالي بالفارسية فو الله لقد شعرت بتفاؤل غريب أمام أبى حامد الغزالي، وأحسست أن الرجل لديه من عواطف الحب وللعشق الإلهي ما لو وزع على البشر لجعلهم من العارفين بالله، وكان يتكلم بحرقة عن العظمة الإلهية فقلت لماذا نتخاصم ولا ننتفع بتراث هذا وذاك من رجالنا الكبار؟

أ. د. حسن الشافعي:

كما ذكرت سيادتكم هذا الخلاف المصطنع وتلك الفجوة المفتعلة بين السلف والخلف، نود ونحن نحاول أن نستوعب جوانب هذه التجربة الغنية أن نلم بدوركم أيضاً في جامعة الأمير عبد القادر الجزائرية وتقديركم لهذه التجربة؟

الشيخ محمد الغزالي:

والله جامعة عبد القادر مكثت فيها خمس سنوات لم تكن هناك جامعة كان إنشاء هذه الجامعة جهداً بدأ به "الشاذلي بن جديد" رئيس الجمهورية، وهو رجل يحب العروبة والإسلام ويتمنى أن توجد جامعة تخدم الإسلام والعروبة، خصوصاً بعد أن ألغى التعليم الديني وكانت له وزارة تسمى وزارة التعليم الأصلي في الجزائر استطاع الشيوعيون إلغاءها، وأصبحت الجزائر وهي بلد إسلامية حررها الإسلام من الاستعمار الفرنسي محرومة من معهد للتعليم الديني حتى للطلاب أو للأئمة في المساجد انتهى كل شيء، وهذا يعطيك الفكرة عن حقد الشيوعية والاستعمار الفرنسي عموماً على الإسلام وأثر العملاء الأغبياء الذين يشتغلون سماسرة لهم عندما يتولون منصباً أدبياً؛ فهؤلاء كذبة ففهمت من رئيس الجمهورية أنه يطلب وأعانني رجل من رجال الإسلام هناك اسمه "عبد الرحمن الشيبان" وزير الشئون الدينية هناك، وهو رجل من أصدق من عرفت رغبة في نفع الأمة الإسلامية وقال لي: أنا وأنت ومعنا السيد الرئيس سنقيم الجامعة نبدأها من الألف وفعلاً بدأت الجامعة وخصوصاً أن تجاربي غنية، فكنت أدرس هنا في كلية الشريعة وكلية أصول الدين وفى كلية الدراسات العربية والإسلامية وفى كلية التربية، فانتفعت بعلماء الجزائر وبتجاربي السابقة في بناء الجامعة الجديدة لكن من المؤسف أن أقول أنني وجدت الشيوعية متغلغلة في وزارة التعليم العالي، ولقد مكثت

أربع سنين أو خمساً ما جاءني من وزارة التعليم العالي في الجزائر خطاب باللغة العربية، كله باللغة الفرنسية وبدون شك انتفعت بدكاترة إسلاميين كانوا تخرجوا من جامعات القاهرة وبعض الأماكن الأخرى وتعاونا سوياً لكن كانت العوائق تكاد تزرع اليأس في القلب وكان هناك عدد من الوزراء لا يريد الجامعة وجادلتهم جدالاً حاداً حتى أن بعضهم وكأنه استكثر على وأنا ضيف غريب بالجزائر أن أحدثه بهذا الأسلوب، فقلت لهم أنا لست مصرياً أو جزائرياً أنا رجل مسلم وهذه أرض الإسلام ليست أرضكم ولا أرض غيركم فهذه أرض فتحها الآباء باسم الله وينبغي أن تبقى لله ولابد أن تقام فيها جامعة والذي يقول هذا الرجل مسلم لا يملك إلا الإيمان بالله ورسوله، ويرى أن من ضعف إيمانهم بالله ورسوله غرباء على هذه الأرض وهي تبرأ منهم، وذهبت إلى رئيس الجمهورية وكان معي وكان عوناً لنا وأنصفنا، وأنشأنا الجامعة إلا أننا يوم أنشأناها كنا أمام أمر واقع وما كنت أستطيع أن أفعل إلا هذا، وسموا كلية اللغة العربية بكلية الدراسات العربية وكأن كلمة لغة فيها شيء!!. على كل حال الجامعة قامت وأصبت في نهاية الدراسة بنوبة قلبية من أثر الشغب الذي نالني وأوقع بي هناك.

أ. **د. حسن الشافعي:** بعد هذه الجولة الواسعة لفضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد الغزالي عن تجاربه الجامعية في مصر والعالم العربي والإسلامي، نحن مدينون بالشكر العميق لفضيلته، لهذا الرجل الذي كان محور هذه التجربة، والذي قاد خطوات العمل الإسلامي إن شاء الله، فإلى لقاء آخر نستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.